معتقرا فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبرئيل عليه السلام روحا لكونه سببا لحيوة
قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحي الذي فيه الحيوة من موت الجهالة
يجري على يديه وقيل لانه روح كله وليس بجسد فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه
الى الانبياء قوله والقلب وان اراد بالروح فذلك اي فذاك هو الذي نزل عليه القرآن الملتبس
بكسوة الحروف والالفاظ فانه انما نزل على رسول الله صلى الله وهو ليس عبارة عن مجرد جسد
وليس للجسد حظ من ادراك المعاني الروحانية والقلب سائر الاعضاء والحواس آلات الادراك
والمكلف والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والالات الا انه يجوز ان يراد بالقلب
العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فحينئذ يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه
لا عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة التعقل والفهم فان الروح انما يدرك تلك القوى
المودعة في القلب فلا جرم تنتقل المعاني الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما من
التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع التعقل والفهم لا القلب استدلالا
بان طريان الافة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التي هي الات الادراك
نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المص الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التي ينتفع
بها الروح في ادراك المعاني فلذلك كان سلامة الدماغ شرط سلامة القلب وظهور اثاره
فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف والحركة
ونزله الى جبرئيل عليه السلام وجعله امينا عليه لئلا يتصرف في حقائقه ثم نزل به جبرئيل
كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففهمه وتمكن من تمكينه تفهيمه تعبيره وتحقق بخلقه
وتنور بانواره وتحلى بحالاته وهو مخصوص باهل الرتبة العلية والكرامة السنية من بين سائر الانبياء
عليهم السلام اجمعين فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحايف جملة واحدة فهي بمنزلة على
صور وظواهرهم لا على قلوبهم قوله فهو متعلق بنزل ذكره صريحا في ان القرآن انما نزل عليه عربيا كما
قال في آية اخرى انزلناه قرآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من ان الله تعالى انزله على قلبه ثم غير موصوف
بلغة ولسان ثم انه عبر اداه بلسانه العربي المبين من غير انزاله كذلك لكن هذا خاسر مخالف
للنص والاجماع قوله وان ذكره لما كان ظاهر النظم يدل على ان معنى القرآن العربي المبين
مثبت في سائر الكتب الالهية وظاهر انه ليس كذلك احتيج الى تقدير المضاف الى ان ذكر القرآن وانزاله
على النبي عليه السلام المبعوث في اخر الزمان او ان اصول معانيه مثبت في كتبهم على منازعة اخبر
في كتبهم عن القراءة وان النبي في اخر الزمان او ان فيه اصول معانيه في كتبهم لا ان جميع ما فيه
من الاحكام والمسائل مثبت فيها وبه يحتج لابي حنيفة رح في جواز القراءة بالفارسية

بالفارسية في الصلوة وهذا كقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وقال مقاتل بعد ذكر الاية عن
ان امر محمد ونعته وذكره لفي كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية و
الانجيل قوله وهو تقرير لكونه دليلا على ان الاستفهام في اولم يكن استفهام تقرير يعني قد كان
علم علماء بني اسرائيل به اية دالة على صحة نبوته عليه السلام لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قد روى
ان اهل مكة بعثوا رسولا الى يهود الذين كانوا في المدينة يسألونهم عن رسول الله صلعم فقالوا
انا لنجد ذكره ونعته في التورية وهذا اوان خروجه فكان ذلك اية على صدقه وحقيته
قوله وقرأ ابن عامر يكن بالتاء ... والباقون يكن بالياء من
تحت وبنصب اية اما قراءة ابن عامر فيحتمل ان يكون كان فيها تامة وان يكون ناقصة
فان كانت تامة يكون اية فاعلا وان يعلم بدلا منها او خبر مبتدأ ولهم حالا منها او
متعلقا بكان اي اولم يحصل اية كائنة لهم اولم يحصل لهم اية وهي علم علماء بني اسرائيل اولم
تحدث لهم علامة علم علماء بني اسرائيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبرها مقدما
على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلم بدلا او خبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة
المستتر فيها وقوله اية ان يعلم جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها
خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هكذا ولا يجوز ان يكون اية اسم كان لابهامه
المعرفة كالمسند اليه والخبر وقد يجيء عكس هذا في الشعر اذا اضطر اليه الشاعر ولا يجوز
مثله في التنزيل قوله ولذلك جمع جمع السلامة اي ولكونه جمع اعجمي لانه لو كان جمع اعجم لما جمع
بالواو والنون لان مؤنثه اعجم عجماء وافعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة والكاف في قوله تعالى
كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اي سلكناه سلكا مثل هذا السلك في قلوب مشركي
مكة فيكون المشار اليه بقوله كذلك وهو مضمون قوله سلكناه ويكون قوله لا يؤمنون به مقررا و
موضحا لمعنى قوله سلكناه في قلوب المجرمين اي يكون مستانفا على جهة البيان والايضاح لما قبله
وان كان ضمير سلكناه للقرآن الاشارة الى سلكه في قلوب المؤمنين ويكون لا يؤمنون به مبينا
لبيان عنادهم قوله تعالى فيأتيهم معطوف على قوله يروا فيقولوا عطف على يأتيهم فظاهر النظم يدل
على ان يكون مفاجاءة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجاته
وليس كذلك بل الذي يقع اولا هو المفاجاءة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لا يكون كلمة
الفاء فيها للتراخي الزماني بل يكون للتراخي في الرتبة بان لا يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا
العذاب الملجئ الى الايمان بل ما هو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجاءة فما هو اشد منه وهو سؤال
النظرة مع القطع بامتناعها فانهم انما يرون العذاب عند معاينة ملائكة الموت وفي الاخرة و

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)